(أنسنة المشاعرفي ديوان الأكسجين المُرّ)

للشاعرالسعودي: خالد الغامدي

(زحزحة المصطلح من التشخيص إلى الأنسنة)

دراسة بلاغيّة تحليليّة

د. زكية بنت محمد العتيبي

جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن بالرياض

المقدمة

الحمد لله مُبلّغ الراجي فوق مأموله، ومعطي اللاجِئ زيادة على سُؤله، المتفضلُ على من تاب بمنه، وعفوه، وقبوله. أما بعد:

تمتازُ اللغة العربية بكثرة المترادفات الدالّة على المعنى الواحد ، إلا أنّ لكل لفظة ما تتميز به في دلالتها عن غيرها، لتعبّر عن المعنى المراد خير تعبير، بحيث لايمكن لغيرها أن ينوب منابها في سياقها، فبعض الألفاظ لها دلالة معنويّة، وبعضها لها دلالة ماديّة، وبعضها يدلّ على الاثنين معًا.

من هنا جاء اختيارنا لهذا الموضوع الذي نهدف من خلاله إلى إعادة هذه المزيّة: (الدقة في استخدام المعنى المراد)إلى لغتنا العربيّة؛ لغة الدقة في التعبير عن المعاني المرادة.

أهداف البحث:

1. خدمة اللغة العربيّة في إعادة مزيّة الدقة في استخدام الألفاظ إليها.
2. زحزحة مصطلح (الأنسنة)؛ ليحلّ محل مصطلح (التشخيص)في البلاغة، وفق المعنى اللغوي لكلا المفردتين.
3. خدمة الأدب السعودي بإلقاء الضوء على جانب من جوانبه من خلال دراسة بلاغية مركزة.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة الموضوع أن ينتظم البحث في مبحثين، ثم خاتمة تتضمن أهمّ النتائج، والتوصيات.

أولًا: الجانب النظري ويشتمل على:

أ-المقدمة

تحدثت فيها عن الهدف من البحث، وخطته، ومنهجي فيه.

ب-التمهيد

تناولت فيهتحرير المصطلح من خلال بث تساؤل: تشخيض أم أنسنة؟ وفق ماذكرته أُمّهات المعاجم.

ثم نبذة بسيطة عن الشاعر، ودواوينه في محاولة للربط بين بيئة الشاعر، وشخصيته، وماجاء في شعره.

ثانيًا-الجانب التطبيقي:

وهو عبارة عن تحليل بلاغي للأبيات، وفق زحزحة المصطلح من التشخيص إلىأنسنة المشاعر في شعر خالد الغامدي من خلال التطبيق على ديوانه: (الأكسجين المرّ).

منهج البحث:

1. اعتمدتُ في بحثي هذا على المنهج التحليلي للنصوص.
2. أوردت المقتبس نصًا بالإحالة إليه في الهامش.

3. اعتمدتُ في تحرير المصطلحات، وزحزحتها على المعتمد من المعاجم العربيّة.

4. حرصتُ على الوقوف عند كلام المختصين في الأنسنة لتحرير المصطلح.

ثالثًا: الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات

أولا: الجانب النظري من الدراسة

أ – تحرير المصطلح:

درج مصطلح (الأنسنة)، و(الإنسانوية)في كتب الفلسفة والنقد ،وهما لفظتان مشتقتان من لفظة (إنسان)، وقيل عن (الإنسانوية) كلام كثيرمفاده: أنها كمفهوم فلسفي تركز على الإنسان كمحور لتفسير الكون بأسره،[1]جاء في دليل الناقد:

"إنّ تركيز الإنسانوية على الإنسان ليس بالبراءة التي يبدو عليها لنا اليوم .. فلهجذور تاريخية تعلقت بالكنيسة والنصرانية، والماركسية،ومخالفة الكنيسة في التركيز على الغيبيات لا العقل، لتركز هي بدورها على العقل، وتستبعد الغيبيات.[2]

يُقال:إنّ أول من أوجد مصطلح الأنسنة عربيًا هو المفكر ، والباحث الجزائري[3] محمد أركون[4]،وقد ميّز أركون بين (الأنسنة) و(الأنسانوية) بأن جعل المصطلح الأوّل (الأنسنة) يركّز النظر على الاجتهادات الفكرية لعقلنة الوضع البشري، وفتح آفاق جديدة لمعنى المساعي البشرية لإنتاج التاريخ، بينما (الإنسانوية) تُعني باحترام الإنسان بحد ذاته ، و لذاته ،و تعتبره مركز الكون، و محور القيم، و التفريق بين المركزية الإنسانية و المركزية اللاهوتية[5]

الحديث عن جذر هذه اللفظة، ونشأتها غير البريئة كما ذُكر في كتاب(دليل الناقد الأدبي) ليست مجال هذا البحث، فحديث البحث عن (الأنسنة) من قبيل قولنا:هذا شخصٌ، وذاك تشخيصٌ.

الحديث فيها عن جذر لغوي، وأبعاد هذا الجذر، ودلالاته فقط، بعيدًا عن حرث التاريخ المعتقدي للفظة.

وتعرضنا لها في هذا البحث، قريب من تعريف أهل التصوف، والفلسفة في قولهم عن الأنسنة بأنها:

"إضفاء بعض الصفات الخاصة بالإنسان على بعض العوالم المطلقة أو المجردة مثل: الصفاتالإلهية، والأخلاق، والشمائل"[6]

سأقف عند هذا القوللكون انطلاقة البدء في تحرير المصطلح من المعاني السابقة؛ ليحلّ محله المصطلح الجديد الذي يليق بذلك الفن البلاغي المسمى ب(التشخيص)، فأنسنة الأدب شعرًا، ونثرًا لاتعني بالضرورة الاتفاق مع الفكر الذي تضمنته لفظة(الإنسانوية) في تاريخ نشأتهاالذي يترع إلى العقلنة يقولحسن ناظم في ذلك:" إنّ عقلنة النزعة الإنسانية في العالم الشعري قد تسد منافذالاحتمال، وتعلن نهاية الأفق الذي يتغذى منه الشعر...إن أنسنة الشعر هي تعويل على طاقات الشعور الخلاقة في العالم الداخلي للإنسان كائنًا إنسانيًّا خبيرا بإمكانات اللغة في التعبير عن قضاياه، ومعالجتها، وأنسنة الشعر، هي تنوير للإنسان عبر الشعر"[7]

إنّ البعد الفني للمصطلح، تتحرر فيه (الأنسنة) من رؤية التيارات الفكرية، وأطرها الفلسفية، لتصبح "تقنية تصويرية تقوم على إضفاء صفات إنسانية على الأشياء على سبيل التخييل، شأنها في ذلك شأن التشخيص، أوالتجسيد، أو تراسل الحواس.. وذلك لاعلاقة له البتة بما يرد في نظريات الأنسانويةالفلسفية،وتحكيم العقل الإنساني في قضايا الكون والفكر"[8]

أنا مع الباحثة في هذه الرؤية، وتحريرها، وأضيف:أن مصطلح (الأنسنة) لابد أن يحل محل مصطلح (التشخيص) في البلاغة العربية من خلال هذه الفروق الدقيقة التي سنوردها في هذا البحث بمشيئة الله.

ب –تشخيص أم أنسنة؟

التشخيص لغة:جاء في لسان العرب: الشّخص: سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد، والشخص كلّ جسم له ارتفاع وظهور،والمراد به إثبات الذات، فاُستعير له لفظ شخص.[9]

ويقول ابن فارس: (الشين والخاء والصاد): أصل يدل على ارتفاع في شيء، من ذلك الشخص: وهو سواد الإنسان إذا سما لك من بعد.[10]

الأنسنة لغة:

الأنسنة لغة: مأخوذة من لفظة إنسان. يقول ابن منظور: الإنس :الإنسان، وهو معروف، يُجمع على ناس.[11]

والتشخيص في مفهومة الدارج يعني: إعطاء خاصية متعلقة بالكائنات الحية من إنسان وغيره للجماد كقولنا: تنفس الصبح ، فالصبح ليس كائنًا حيًّا له رئتين يتنفس بهما،لكن القرآن الكريم استخدم هذا التعبير المجازي في قوله تعالى:" وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ *وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ" 12

يقول أبو السعود في تفسيره لهذه الآية:" إ نَّ الصبحَ إذَا أقبلَ يقبلُ بإقبالِه رَوحٌ ونسيمٌ فجعلَ ذلكَ نفساً لَهُ مجازاً فقيلَ تنفَّسَ الصبحُ."[13]

إنّ إعطاء كلمة (فعل أو صفة) خاصة بالإنسان لغير الإنسان من حيوان ، ونبات وجماد، وحواس وردت كثيرًا في القرآن الكريم، وكلام العرب، الذي يحتل المجاز نسبة كبيرة فيه، فمجازيّة اللغة ليست أمرًا مستحدثًا، بل إنّ المجاز عنصر حيٌّ في أصل كلام العرب.

فالخلاف ليس على مجازيّة الألفاظ، وإنما على مصطلح (التشخيص) الذي يدل على سواد الكائن الحي، وجسمه، وارتفاعه إذا تمثل لنا من بعيد كما مرّ بنا.

فأيهما أولى بالاستعارات والتشبيهات التي تجنح إلى تحويل فعل الجمادات والمعنويات إلى فعل الإنسان من شعور وتنفس، وحزن، وبكاء، وأكل، وشرب وغيرها من الصفات التي لايمكن أن تظهر لنا من مجرد لفظة (تشخيص) الأنسنة أم التشخيص؟

من خلال زحزحة مصطلح (الأنسنة) ليحل محل مصطلح(التشخيص) بناء على تعريف لفظتي :(إنسان ، وشخص) في المعاجم العربية، سأتناول في هذا البحث الصفات البشرية التي أسندت للمشاعر و الجمادات ومعطيات الكون وأدواته، ونفخت فيها الروح؛ لتكون إنسان في جوف الإنسان.

راجية من الله- عزّوجلّ- أن أكون قد وُفقت في هذه الزحزحة إلى إعادة مزيّة:(الدقة في استخدام الألفاظ) إلى العربية التي عُرفت بها منذ مولدها.

ت -نبذة عن الشاعر

خالد الغامديهو شاعر سعودي من مدينة الباحة يعمل في مهنة التدريس في مدينة الطائف حيث يقوم بتدريس اللغة العربية لطلاب المرحلة الثانوية.

متزوج ولديه من الأبناء أربعة.

عرف خالد الغامدي بهدوئه وحبه للتأمل والطبيعة ، ولعل هذه الطبيعة هي ماجعلت من شعره شعرا تأمليا في المقام الأول.

داواين الشاعر:

للشاعر ديوانان

1 - الأكسجين المر الطبعة الأولى عام 1432- 2011 النادي الأدبي بالطائف

2 - فوق شهيقي عابرة الطبعة الأولى كانت 1434-2013عن دار جودي للإعلام

ثانيًا: الجانب التطبيقي من الدراسة

أنسنة المشاعر في شعر خالد الغامدي

أمتاز شعر الشاعر السعودي خالد الغامدي بتركيزه على أنسنة الأشياء من مشاعر ، وجمادات، وطبيعة، فهو لايتعامل مع رموز الحياة بماديات، وإنما ينفث فيها الروح؛ لترسم لوحة متحركة حيّة تضج بالإنسانية.

إنّ مفردات الغامدي تحس، وتشعر، وتضم، وتبكي حالها حال الكائنات الحيّة لاسيما الإنسان ، مما يدلل على قرب الشاعر من كلماته، والعلاقة الحميمية بينه، وبين معطيات الحياة من حوله ، وكأنه في هذا يتمثل قول حسن ناظم: "تشترط الأنسنة في الشعر

حرية الذات واستقلالها.. إنه يجعلها ضد أنواع الاستلاب ، والضغط .ومراعاة الحاجات المادية والمعنوية ،كما أن تضمين الشعر أهدافا تتموقع خارج العالم الداخلي للشعر ومكوناته شرط أساسي من شروط تحقيق الأنسنة في الشعر إذإن الشعر عبر ذلك يمارس تأثيره المراد في الحياة"[14]

فحسن ناظم يرى أن الحياة تتقاطع في الكلمات من خلال إشراك الذات في تبادل من أيّ نوع كان حيث أن هذا الإشراك يتيح للذات أن تتعامل مع ذواتا أخرى، فتحاورها، وتنصت إليها وتتواصل معها أيضا[15]

هذا الخيال في نظر ناظم هو سرّ امتداد الأفق الشعري كما مرّ بنا قوله سابقًا:"إن عقلنة النزعة الإنسانية في العالم الشعري قد تسد منافذ الاحتمال، وتعلن نهاية الأفق الذي يتغذى منه الشعر"[16]

فأنسنة الشعر هي الأرض الخصبة التي تترعرع فيها طاقات الشعور الخلاقة.

في هذا الفصل سنقف – بمشيئة الله تعالى–على تحليل بعض الأبيات التي تضمنت مجازًا إنسانيًا عند الشعر من خلال الديوانين موضع الدراسة.

يقول الشاعر[17]

أقومُ أحتضنُ الآفاق أُطعمها دفء الرجولة يذكو من عباءتي

الحضن كما في المعاجم العربيّة هو: الصدر، والعضدان،ومابينهما. والاحتضان هو : حمل الشيء ، وجعله في الحضن كما تحتضن المرأة ولدها.[18]

أما الأفق فهو كما يقول ابن منظور:ماظهر من نواحي الفلك، وأطراف الأرض، وآفاق السماء[19]، تُجمع على آفاق.

هنا صورة حركيّة مُلوّنة؛ تتمثل في احتضان الشاعر لهذا الكون لبُوضه وجوه.

دفء الرجولة الذي يُستشعر،ولايُستطعم، صارطعامًا يُؤكل ، ويُذاق؛ يلقمه بيده، وهو واقف يحتضن كلّ هذا الكون ،وكناية عن التقدير لهذه الرجولة ؛ يستخدم القيام لمعنى الثبات على قول من قال: قام عندهم الحق إذا ثبت، و لم يبرح مكانه [20]هذه الرجولة الدافئة، يشتد لهيبها وتعلو .[21]

وهذا الكون صار إنسانًا يمكن احتضانه، واطعامه بحنو فرجولة هذا الرجل المتوقد من كلّ كساء يرتديه ليست عابرة في موقف عابر،إذا ماحملنا لفظة(عباءة) هنا على قول العرب: رجل عَبَاء أي: ثقيل.[22]

فبحمل المعنى على التفسير يستقيم السياقأيضًا،فهذا الكون بأسره أرضاً وجوًا، لم يتعامل معه الشاعر بحسه المرهف على أنّه جماد، لقد صار إنسانًا يستحق العناق احتفاء بهذه الرجولة التي تستمد دفْءها من صفاته الرجوليّة كالثبات ، والثقل؛ فهو ليس رجلًا تستخف به الأشياء.

جاء كلّ هذا في صورة إنسانية متحركة، في مشهد فيه حركة وعناق، وحنو أمام رجولة ثابتة ثقيلة في استعارة لذيذة .

وفي قوله[23]:

يحتويني من وراء الهم وهم وشعورٌ مستفيض ماله اسم

لست أدري بعد ماداخلني كُلّما خبأتُ همًا فار هم!

نقف في هذه الأبيات على حالة من الحزن المبهم أمام الشاعر نفسه، وهي حالة تلازم الأدباء في المجمل، ذلك أنّ الشعراء يحملون روحًا شفافة، سهلة التأثر بما يمر بها ومن حولها.

الشاعر وهو يعبر عن حالة الحزن هذه مايزال متشبثًا بالعبارات التي تنم عن رهافة حسّه التي نستشفها من اختيار لفظة (يحتويني)المشتقة من الاحتواء بمعنى الجمع.[24]

شاعرنا المشتت؛ يتحول إلى أداة في يدِ الهم الذي صار إنسانًا يجمعه ، ويضمهُ إليه. ليس من حبّ، ولكن إمعانًا في إحزانه! فشبه الهم بالإنسان، وحذف الإنسان وجاء بشيء من لوازمه وهو هنا (الاحتواء) من باب الاستعارة المكنية.

وفي قصيدته المأتم يقول:[25]

ألمًا حلّ وولى مللا لارعى الله زمانًا أفلا

لفني في غفلة لم انتبه مثلماحاصر جيش أعزلا

أنهك الأيام حب ظالم إذرضيتالصدليحق انجلى

أأغني للهوى في مأتم؟! ماحتيالي في غرام قُتلا

هذا الألم الإنساني كان حي، نقله الشاعر من معنويته إلى صورة حسية متحركة فهو يأتي ويذهب متصفًا بصفات إنسانية (الحلول، التولي، الملل، اللف، المحاصرة،) تتقاطع صورة الألم هنا مع مشهد متحرك انتقل بالألم من المقروء إلى المحسوس المشاهد المستشعر، حتى صرنا نشفق عليه من شراسة هذا الوجع الذي يورثه الملل من ملازمة الحزن له في حله وترحاله،هذا الحزن الذي لفه حتى أحاط به من كل الجهات بلا رحمة على غرة منه، فهو لم ينتبه لمتى وأين حلّ به مما يدلل على عنصر المفاجأة في مباغتة الأوجاع للشاعر. هذا الحزن الشرس جيش مسلح باغت شعب أعزل، وشتان مابين القوتين؟ الشاعر في حالة ضعف تمنعه حتى من مجرد التفكر في الخلاص. إنها قضية محسومة لصالح هذا الحزن المتمكن. كل هذه الصور المتحركة جاءت على سبيل الاستعارة المكنية.

ثم يفصل لنا سبب هذا الحزن الشرس المتمكن، إنه الحب الذي لايقل شراسة عن حزنه.

أنهك الأيام حبّ ظالم إذ رضيت الصد لي حتى انجلى

أأغني للهوى في مأتم؟ ماحتيالي في غرام قتلا.

الحب أيضا هنا يتحول إلى إنسان ظالم في استعارة مكنية غيبت (الإنسان) كلفظ صريح لتأكيد أنسنة هذا الحزن وأنه يتصرف وفق مشيئته حرا طليقا يفعل مايشاء بلا رادع.

ثم يتأنسن الغرام ليصير إنسانا مات مقتولا لاحيلة لإرجاعه.

تبرز حالة الكرامة المذبوحة ولاسبيل إلى إرجاعها في قوله:

ربما يقتلُ حبٌّ رجلًا غير أنّي لستُ هذا الرّجُلا[26]

هو الشاعر الذي اشتكى حبه الظالم الذي قتلولاحيلةله في إرجاعه، لكنه هو يكابر ليبقى على شيء من كرامته، فالحب قاتل شرس، يزهق أرواح الرجال إلا شاعرنا!

إنها محاولة بائسة لإقناع القاريء بأنه لم يتوجع بينما هو قد توجع بما يكفي لأن يظل يراقب نمو الجراح التي تحل وترحل في قلبه. حتى الخيبات عند شاعرنا تأنسنت!

فالخيبة لها إرادة في قاموس شاعرنا، تجيء في قوة، وترحل في ضعف، ليؤكد بها أنه مازال مسيطرا على مشاعره، وأن الحزن الشرس القاتل الذي ذبحه من الوريد إلى الوريد أخذ وقته وناوره لكنه لم ينجح في قتله.

خيبةٌ كانتْ وولتْ وخلتْ فهباءٌ كلما فيها خَلا[27]

كذلك الحب المتأنسن هنا يجيء ويذهب، وذهابه ليس كأي ذهاب! إنه يغادر بحسرة على تلك النهاية الموجعة، وكأن الحب كان راغبا في المكوث لكن الظروف اضطرته أن يرحل بحسرته حيث يقول:

ذهبَ الحُبُّ وولى حسرةً فاسقني حتى يقول الكأس..لا[28]

لايكتفي بأنسنة الحب والحزن، فهاهو يؤنسن الأطلال أيضا ليؤكد حميميتها.

هو لايتعامل معها على أنها جمادات لاتحس، بل على أنها إنسان من دم وإن سماه(شيء) رغبة منه في تهميش ماكان يأسره، على غرار مايفعل الموجوع ليخفف عنه بعض حزنه في الزهد في الأشياء، كما يقول المحب عند فقد محبوبته: غيرها من النساء كثير تتمناني.

مراوغة فاشلة مع الحزن، فلن يفلح في طمس حزنه الحي، وحبه الحي، وأطلاله الحية ، فيعترف في ضدية يتجلى فيها شعوره المتضارب بأنه لم يضطر لبيع تلك التفاصيل ونقل ملكيتها بعيدا عنه إلا لأنه اشترى وبمحض إرادته الفشل، فكيف لفاشل في الحفاظ على مايعنيه أن يرعاه؟

هذه الاطلالُ شيءٌ من دمٍّ بعتهُ لّما اشتريتُ الفشلا[29]

وفي قصيدته: (روح ولا إنسان)[30] يؤنسن الشعر في قوله:

أخبئ أسراري ويفضحني الشعر فما أرعوي حتى وقد مسني الضر

وأوقد أفكاري وأغلي قريحتي ليعبرني حرف كما انبجس النهر

فالشعر عنده أكبر الوشاة!

إنه إنسان يسعى بالنميمة ، فيبعثر أسراره التي حرص على إخفائها ويفضحه، ويشوه سمعته عند كل من لايعرفه، فالفضيحة لاتطلق إلا على مايشين، ممايدلل على أن الشاعر يعيش في بيئة قبليةتقليدية محافظة يعد التصريح بالحب فيها جريمة لاتغتفر.

إنه يصف حالة سريان القصيدة في دمه، ويصورها تصويرا دقيقا يصدق على أن يكون توصيفا لحالة الشعر عامة.

إنه يشعل الأفكار، ويغلي القريحة حتى يحظى بحرف له عذوبة النهر، وسلاسة جريانه.

فمخاض القصيدة ليس سهلا، لكنها تنجب بعد هذا المخاض عذوبة وسلاسة.

وفي قصيدته (ماكان اختياري)[31]يؤنسن التحنان ويجعل له قوى عقلية نادرة تؤهله للشفاعة التي لاتقبل إلا بمواصفات رفيعة ، هذا التحنان إنسان وإن صرح ببعض صفاته(الشفاعة) على سبيل الاستعارة المكنية، فيقول:

ألم يشفع له التحنان يوما أتنساه وقد ملّكت أمره

وفي قصيدته : (المدار)[32] يجعل من الرحيل إنسانا مقتولًا، حتى إنّه مع كثرة ترحاله ماعاد يجد دياراً يسميها لرحيله، حيث يقول:

قتل الرحيل

لقد رحلت فما تبقت لي ديار

وفيها يقول:

واسمع كلامي لحظة

تلمس بنبضي الشوق ثار

النبض هو الآخر إنسان يُلمس ويُحس، الملموس هنا ونتيجة اللمس خارقة للعادة.

فالشوق عند الشاعر ثأر ولكن ممن؟ إنها حرارة، بل ومنتهى الغليان، والتعذيب أن يتحول الشوق هذا الذي تأنّس به كلّ الشعراء إلى ثأر، ورغبة في الانتقام من قلبه.

وفي قصيدته: (مسافر)[33]يتحول النسيان إلى بناء له نوافذ، يُطلُ منها طيف المحبوبة فيتأنسن الذكريات والشجن؛ لتلفه، وتسيطر عليه، بل وتقوده إلى حيث تريد من عوالم الذكريات والحنين حيث يقول:

أطل من النسيان طيفك بعدها فلفتني الذكرى وقادني الشجن

وفي قصيدته: (أطير)[34] يؤنسن الضمير ويجعل منه إنسانا يحتضن بشوق، ولايكتفي بهذا بل يؤنسن عطر المحبوبة ؛ ليجعل منه كائنًا حيًّ يضم باشتياق في ذاكرة عبقه رغم حرص الشاعر على لملمة جوارحه ومنعها من التذكر والحنين وتباعاته حيث يقول:

وألم عنك جوارحي

فيهب يحضنك

الضمير

وبرجفة لاتستقر

تضمني منك العطور

وفي قصيدة:(حارس الآلام)[35] يؤنسن الآلام، فيحيلها إلى حسناء راقصة تُغريه بالتّذكر، والحنين؛ ليضمها إليه، كحارس يخشى عليه من الضياع.

شاعرنا المرهف بلغ مع أنسنة كلّ مشاعرهمبلغًا عظيمًا حيث أنه بات يراها حريّة باهتمامه، وإن أوجعته كما قال:

وترقصُ آلآم بصدري أضمها كأني للآلام والحزن حارس

كذلك التروات عنده ليست مشاعرًا، بل إنساناً حيًّاقادرًا على التّحرك، والعبور بمحض إرادته يقول:

وتعبرني في ساعة الصمت نزوة إلى اين إني من حياتي لأيس

حتى الشقاء صار –هو الآخر– عند الشاعر إنساناً قاسيًّا يغضبُ ويزجرُ، فهو عنده ليس من عوالم المشاعر العابرة بل المشاعر المتأنسنة المتحكمة، يقول في ذلك:

تَعنّ خيالاتي ويزجرها الشقا فتدنو خفاء في انسراحي تخالس

كذلك خيالاته هي الأخرى متأنسنة، فهي تقترب، وتختلس الفرص؛ ليسترح به ويمعن معها في البعد عن واقعه.

الأنسنةعند (خالد الغامدي) حالة عامة في كافة مشاعرها السلبيّة،والإيجابية على حدّ سواء.

إنّه لايختار ما يؤنسن، بل يؤنسن الجميع ، وكأنه يعيش مع هذه العوالم الصاخبة المليئة بالحركة ، والمشاهد، والإرادة في الذهاب، والإياب، وإشعال الأجواء بحركة دائمة، وكأنها حياة وسط الحياة.

وفي قصيدته: (تباريح سؤال)[36] يقول

وحاصرني السّواد

فقلت عفوًا

خلا لك شاعرٌ

فاعبر خلالي

يؤنسن الشاعر المشاعر السوداويّة ويمنحها القدرة على المحاصرة كالعاقل تمامًا. فهي الأخرى ليست مشاعرًا تحُس ،وتخرج للوجود دون أن يكونَ لها قدرة، بل إنها تُحس ، وتتحكم بشراسة في استعارة مكنية غُيّبَ فيها ذكر لفظة (إنسان)؛ لتكون المشاعر هي الإنسان عينه في حالة تشبه في بعض جوانبها مزايا التشبيه البليغ الذي تذاب فيه الحواجز؛ ليكون المشبه هو عين المشبه به.

وفي قصيدته: (قال شعرًا وماشعر)[37] يؤنسن الشعور بالفراغ، ويجعله إنسانًا قادرًا على الضّم حيث يقول

وفراغ يضمني

وفضول من النظر

كذلك المواعيد عنده مؤنسة، فهي كأيّ شيء ، يضيع ،ويفقد، لكنعندما قال(وماحضر) بيّن أنّها ليست أيّ شيء! فهي إنسان يحضر ،ويغيب كما في قوله:

ضاع ميعادي اليتيم ببطء

وماحضر!

وفي قصيدته: (ريشة في عزاء)[38] أنسن الصّمت فهو يُدعى للحضور ، ويحضر؛ليؤدي رسالته في صمت يتقاطع مع لحظات البكاء، فيأمر محبوبته ألا تجرحه! فالصّمت هنا إنسان مرهف، يمكنه أن يشعر بالجرح، فيحزن، إنسان لابد من مراعاة مشاعره على سبيل الاستعارة المكنية يقول في ذلك:

دعي الصّمتَ مابيننا كالرسول تقاطعه لحظات البكاء

ولاتجرحيه دعيه يطول ويغمرني مثقلًا كالشتاء

وفي قصيدته: (اليوبيل الأسود)[39] تتأنسن الحقيقة هي الأخرى، فتصير إنسانًا ينامُ ، ويفيق، ويؤثر ، يحذف المشبه به وهو: (الإنسان)، ويأتي بأكثر من لازم من لوازمه، وهي: (النوم، الإفاقة،التأثير في الغير) على سبيل الاستعارة المكنيةيقول في ذلك:

وتفيقُ في وجهي الحقيقة عندها وأغيبُ فيها إن رفعت جبيني

كذلك النسيان مؤنسنٌ عند شاعرنا؛ فهو يقدرُ ويعجزُ، والأمر ذاته مع الشجون المؤنسنة كما في قوله :

أو يعجز النسيان أن يمحو الصّدى من مسمعي فما تجن شجوني؟

ومازال الهم عند شاعرنا مؤنسنًا ينتصر حينًا، ويفشلُ حينًا يقول في ذلك:

متأرجحٌ والهم يغلبني على نفسي وأحمل شقوتي بيميني

لقد جعل الشاعر المشاعر ذاتًا عاقلة كالإنسان تمامًا حيث تبلورت الأنسنة عنده بمخاطبة المشاعر خطابًا إنسانيًا، وتبلور نزعتها الإنسانية.

والخطاب الإنساني يتطلبُ أن يكون المتخاطبان عاقلان؛ليفهم المتلقي ما يقوله المرسل.

ولأنّ مشاعر الغامدي قد تأنسنت، وصارت ذاتًا إنسانية أصبحت عاقلة، تعي وتفهم مايقوله الشاعر.

الخاتمة:

النتائج والتوصيات

مماسبق تبين لنا بأنّ الشاعر خالد الغامدي يتعامل مع عالمه الشعري على أنّه حياة مكتملة؛ فيها التفاعل، والتعاطي مع الموجودات دون وسيط، يفهمها ، وتفهمه، ويقيم معها حوارات عاتبة، وأخرى متسائلة في تراكيب شعريّة وشعورية ترسم من الطبيعة، والحياة الصاخبة عالمه الشعري رغم هدوئه.

يقول فوزي كريم:

" إن الشاعر باحث عن الحقيقة في عالمه الباطني أو في خارج هذا العالم"[40]

لقد توجه شاعرنا من السطح إلى العمق حين قرر أن يغوص في باطن دلالات الألفاظ لا ظاهرها

وعلى أنّ مجمل شعره لايعدو كونه نفثة مصدور أعياه وجيب صدره ؛ إلا أنها نفثة إنسانية متأنسنة يتنفس معها ، وبها كلّ من لامسه الوجع ذاته.

يتدفقُ شعر خالد الغامدي من ينبوع تجربة شعورية، تمتح من لواعج، وعمق إنساني، تعكس فيه المرايا المحطمةالوجوه محطمة وإن لم تكن كذلك في حقيقتها!

وهذا ما يُطلُ علينا برأسه ونحن نتهجى أبجديات الحزن المنثورة في بساتين الوجع عند ه؛ لذلك كان شعره المرآة المحطمة التي عكست وجهًا محطمًا بدى لنا من قراءة جوانب متفرقة من شعره بأنّه سليمًا بلاخدوش ؛ فالقارئ لشعره سيجد اعتدادًا برجولته ،وسيقرأ صورة العربي الأبيّ في أكثر من موضع.

الشعر عند خالد الغامدي يسيل من قريحته م تأنسنا؛ليخلق جوًا من الحركة، والمشاهد التي تصور لنا جوانب من بحثه عن إجابة لكل تساؤلاته، هو أشبه مايكون كالسائر في غابة كثيفة في ظلتها، أوغائص في عمق بحر لا حدّ له من شدة بعده.

إنّ شاعرنا في معظم أبياته كمن يجيب عن أسئلة شعرية متخيلة ، فيشرح حينا ويبررحينا،من خلال لغة فريدة أنيقة مطرزة بشيء من التّصوف الروحي، الذي جاء نتاجًا لبعض عزلة الشاعر التي وجد فيها ذاته، مستندًا في تجسيد مشاعرة بهيئة إنسانية تعتمد على الاستعارة المكنية في معظمهما.ولا تخفى على الباحث العربي أهميّة هذا النوع من الاستعارات، بل وكثرته في كلام الله—عزّ وجلّ- وكذلك البليغ من كلام العرب شعرًا ونثرًا.

والاستعارة المكنية وهي: ما حذف فيها المشبه به، أو المستعار منه، فصار مختفيًا مرموزًا له بذكر شيء من لوازمه دليلاً عليه بعد حذفه، لها أهمية في إعمال ذهن المتلقي في البحث عن المحذوف الذي فهمه دون ذكره لوجود لازم دلّ عليه.

لقد عمد الغامدي في شعره إلى الاستعارة المكنية؛فأكسب معانيهقوة، ووضوحًا، وأبرز أفكاره في لوحة بديعة تحلقُبالمتلقي في سموات من الخيال العذب، فتصور المعنويات بل وحتى الجمادات، وتجعلها حيّة ناطقة.

إنّ الاستعارةالمكنية من أبلغ الألوان البلاغيّة،ومرد ذلك يعود إلى حسن تصويرها، و انتقاء ألفاظها و إيجازها .

خالد الغامدي وغيره من شعراء الجيل الجديد يستحقون دراسة مستفيضة لاتسعها عشرون صفحة في بحث ترقية، فالغوص في أشعار هؤلاء الشعراء؛ يمنح النقد مساحات أرحب؛ لاكتشاف ظواهر جديدة، ومن ثم نظريات نقدية جديدة تتواكب مع مستجدات الأدب الحديث.

المراجع

- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق:عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت،الطبعة الأولى،1411ه.
- ابن منظور، لسان العرب،دار الفكر، بيروت،الطبعة الأولى،1410ه.
- أبو ناصرموريس،صحيفة الحياة، صفحة آداب وفنون ،العدد17736، تاريخ:28/11/1432
- البازعي سعد و الرويلي ميجان، دليل الناقد الأدبي،المركز الثقافي العربي،المغرب،الطبعة الخامسة،2007.
- أبي السعود،تفسير أبي السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ،لأبي السعود العمادي،دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت،د.ت)
- الحمدان. هيفاء، أنسنة الشوارع في الشعر السعودي المعاصر عبدالله الوشميأنموذجا مقاربة سيميائية،دارجرير،عمان،الطبعة الأولى 1433ه
- عاكوب، عيسى، المفصل في علوم البلاغة(المعاني، البيان، البديع)،دار القلم، 1417 ه
- عباس، فضل، البلاغة فنونها وأفنانها علم البيانوالبديع ،دار الفرقان ، الطبعة العاشرة 2005
- الغامدي، خالد، فوق شهيقي عابرة، طبعة جودي للإعلام والنشر،الطبعة الأولى،1434-2013
- الغامدي، خالد،الأكسجين المر،طبعة نادي الطائف الأدبي، الطبعة الأولى،1432-2011
- كريم، فوزي، ثياب الأمبراطور: الشعر ومرايا الحداثة الخادعة دار مدى دمشق 2000 مدينة النحاس1995م.
- محمد سالم سعد الله، أنسنة النص مسارات معرفية معاصرة، طبعة عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى،2007م.
- مرشد أحمد،أنسنة المكان في روايات عبدالرحمن المنيف ،طبعة دارالتكوين، دمشق، طبعة2009م.
- مفتاح ،محمد،رؤيا التماثل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى،2005م.
- ناظم، حسن، أنسنة الشعر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،بيروت، الطبعة الأولى2006م.

الهامش:

[1] دليل الناقد الأدبي، ص 46

[2]السابق:47-62

[3]محمد أركون أستاذ تاريخ الفكر الإسلامي والفلسفة في جامعة السوربونفرنسا،مفكر وباحث أكاديمي ومؤرخ جزائري تميز فكره بمحاولة عدم الفصل بين الحضارات الشرقية والغربية، كتب باللغة الفرنسية و بالإنجليزية وترجمت أعماله إلى العديد من اللغات من بينها العربية والهولندية والإنجليزية والإندونيسيةتوفي 2010

[4] أبو ناضرموريس،صحيفة الحياة، صفحة آداب وفنون ،العدد17736، تاريخ:28/11/1432

[5]السابق.،ويُنظر:دليل الناقد الأدبي 46 ومابعدها.

[6]مفتاح ،محمد،رؤيا التماثل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى،2005،ص 36

[7]ناظم، حسن، أنسنة الشعر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،بيروت، الطبعة الأولى،2006،ص13

[8]الحمدان. هيفاء، أنسنة الشوارع في الشعر السعودي المعاصر عبدالله الوشميأنموذجا مقاربة سيميائية،دارجرير،عمان،الطبعة الأولى 1433،ص30.

[9]ابن منظور، لسان العرب،دار الفكر، بيروت،الطبعة الأولى،1410،الجزء7 ص45

[10]ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق:عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت،الطبعة الأولى، 1411، الجزء الثالث، ص254

[11]ابن منظور، لسان العرب،دار الفكر، بيروت،الطبعة الأولى،1410،الجزء6 ص10-11

[12]سورة التكوير:18

[13]تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود :30/9

[14]ناظم، حسن، أنسنة الشعر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،بيروت، الطبعة الأولى،2006 ص 11

[15]السابق :ص12

[16]السابق: ص13

[17]الغامدي، خالد، قصيدة بداياتي، الأكسجين المر.ص9

[18]لسان العرب:122/13

[19]السابق:5/10

[20]السابق:497/12

[21]السابق:287/14

[22]السابق:118/1

[23]الغامدي، خالد، قصيدة (الإثم)، ديوان: الأكسجين المرّ،ص13

[24]معجم مقاييس اللغة:112/2

[25]الغامدي ، خالد، قصيدة(المأتم)، ديوان: الأكسجين المرّ،ص15

[26]الغامدي ، خالد، قصيدة(المأتم)، ديوان: الأكسجين المرّ،ص15

[27]الغامدي ، خالد، قصيدة(المأتم)، ديوان: الأكسجين المرّ،ص15

[28]السابق ذاته.

[29]السابق:16

[30]السابق ذاته.

[31]الغامدي ، خالد، قصيدة(ماكان اختياري)، ديوان: الأكسجين المرّ:29

[32]السابق:40

[33]الغامدي ، خالد، قصيدة ديوان: الأكسجين المرّ:45

[34]الغامدي ، خالد، قصيدة(أطير)، ديوان: الأكسجين المر:50

[35]السابق:54

[36]الغامدي ، خالد، قصيدة(تباريح سؤال)، ديوان: الأكسجين المرّ:59

[37]السابق:66

[38]الغامدي ، خالد، قصيدة(ريشة في عزاء)، ديوان: الأكسجين المرّ:70

[39]السابق:72

[40]كريم، فوزي، ثياب الامبراطور: الشعر ومرايا الحداثة الخادعة دار مدى دمشق 2000 مدينة النحاس1995.